مفتاح العمّاري

تَخْطِيب سُكّان الريح

شعر



تخطيب

سُكّان الريح

شعر

مفتاح العمّاري

تَحْطِيب

سُكّان الريح

شعر



تحطيب سكان الريح

مفتاح العماري

الطبعة الأولى: 2020 م

رقم الإيداع المحلي: **2019/360**

رقم الإيداع الدولي: **9789959-921-239**

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: **7165022.21821+** - بريد مصور **4843580-21821+**

ص.ب: **75454** - طرابلس **Email: almosgb@yahoo.com**

إهداء

إلى روح شقيقي:

إدريس أحمد العمّاري

استهلال

أيها الألف

شكرًا يا معلمي،

يا معلّم طفلي؛ كيف تُشْطر الباءُ بسيفٍ لا يُرَى

ليظفر بدهشةِ الباب .

®


تخطيب 1

تَخْطِيب 1

1

الأشجار التي تحجّر عطرها،

كيف نسميها حديقة ؟

كان عليّ جمع الحطب

لا انتظار الريح .

2

من فرط الانتظار،

شجرةُ البرتقال الوحيدة في فناء البيت،

تتخيل مطرًا

وتطرحُ فاكهة مضللة.

3

منذ أن دفنا أبي، وتركنا أخطاءه

تلعب حرّة خارج القبر،

منذ أن تدبرت أمنا زوجًا آخر،

ولم نعد نراها إلا في المآتم،

منذ أن تخلّت عنّي الأبواب،

وتحوّلَ اسمي إلى خمسة أرقام هزيلة

وأمست الثكنات ملاذي غير الآمن،

منذ أن عثرت على جبران متروكًا بإهمال

على طاولة عامل بدالة في معسكر الكتيبة 23 مشاة

كان النبي مهانًا،

شوّهت ملامحه أرقامٌ وخربشات عابثة،

وبقعُ الشاي،

منذ ذلك الحين:

وأنا أكتب الشعر لجمهور مغرور،

يتجاهل الموسيقى،

ويفسح الطريق للجنرالات.

تَخْطِيب 1

4

ذلك الذي كان يُعنّفني

لكي أكون ابنًا بارًا،

وكنتُ أريده أن يكون أبًا حنونًا،

غادر البيت .

5

الغابة مكتظة بما لا يُحدّ .

ظلالٌ تتكسّر،

ولا أثر لفأس .

6

أنا الآن وحدي.

لكن تلك السماء

يصعب نسيانها.

7

حيث لا شيء يصمد طويلا

في الحرب

تشبّثْ بالموسيقى

تلك الرفيعة، شبيهة السر؛

فمهما كانت عظمة النار؛

وحدها الموسيقى

لا تحترق.

8

حتى وهو يلوذ بصمته

لمّ يعد الكلامُ آمنًا.

9

في عطلةِ الأسبوع؛

ذهب الجنودُ إلى عائلاتهم

وتركوا الثكنةَ لي وحدي.

تَخْطِيب 1

10

إكراما للظلّ أقترفُ المزيد من الصمت
لكي أرى عن كثب
الأحلام الصبورة التي طبخها المعرّي
على مواقد العزلة
ثم تركها تتبخر بهدوء؛ لتسافر بعيدًا
في خيال اللغات.

11

أغبطُ سكان الريح
الذين لا يملكون أقفالا
أو بضعة دراهم تكفي ليوم آخر
بلا عناوين حتى،
أينما تعبوا، ناموا.
لا أبواب لهم
لا كتب ثرثارة
ولا ورثة يتشاجرون.
لا شيء.

12

لم نتعارف كما ينبغي

لم نعش كأصدقاء

ولم نصغ لزوربا .

شيء كهذا؛

يحدث في طرابلس .

13

طفل يركل كرة صفراء

الشمس تغرب خلف ظهره.

قميصه المشجر،

حديقة تركض في مرح.

تَخْطِيب 1

14

ما ذنبي إذا أهملتني الصدف

ولم أعرف سجن «بورتا بينيتو»

إلاّ كحديقة يتوسطها مقهى.

ما ذنبي إذا طلبت ارقيلا

وكتبت قصيدة.

فقط أتساءل .

15

ثياب الجندي،

التي لبستها طيلة عشرين عامًا،

عجزت عن إخفاء ظل الشاعر .

16

أحيانًا أغبط أولئك الكسالى

وهم يسترخون في المقاهي،

ويثرثرون بأصوات حرّة. ولأسباب لا أفهمها أغبط النار،

الشوارع لحظة أن تستيقظ ـ في الشتاء .

كما أغبطُ الروادَ الأوائل،

حملةَ البكتيريا الذين اكتشفوا الخيال ،

وتركوه يغلي على مواقد رحيمة .

أغبطُ الألم الذي يصنع سلّما للضحك .

الألم الصبور، لا الماكر وهو يفكّر متربّصا بكهولتي

الألم أبن الخمسين اسما ـ في معجم الجرّاحين،

الراكضَ والناعمَ والمتسوّلَ والمنبوذ .

أغبط طرابلس بخصوبة ترهاتها وهي تحتفل بالنفايات،

لأن الربيع حين فقد بصره أخيرًا،

انتخب الشاعر لقيادة العزلة.

لهذا، أرمّم مشتقات المنفى بمزيد من الكلمات

أبتسم ـ في وجه العالم، وأقول لنفسي:

كأن الحياة لعبة

هكذا خمنتُ فيما كنتُ أسألُ جندياً،

عن اقرب دورة مياه أو جامع .

قال: تبولّ حيث شئت.

هكذا أتربّص،

حيث الأسماء خلاصةُ سفر .

فيما الألمُ لا الكلمات،

مَنْ كان يُفكر .

17

فيما كنت اغنّي خلف شياهي؛

صنع الفينيقيون سفنًا .

كم تمنيت لو أن أبي كان نجارًا

عوضًا عن قاطع طريق،

يكمن للقوافل ويتحرش بنساء العشيرة.

18

لو كان أبي صيادًا، يجوب البحر على الأقل

لبدت أمّي أسعد حظًا

وهي تجيد تلاوة الشعر وتربية الزهور .

وتشوي سمك المرجان على أنغام زوربا .

19

أسماء كثيرة كانت لي؛

صارت ريحًا.

حماماتُ جارتنا

تترك ريشَها أعمَى.

20

لا دخان،

لا ضحك،

لا شيء.

ومع ذلك؛

جارتنا تَطبُخ.

21

طالما لست مضطرًا

لمغادرة البيت،

سأظل سعيدًا.

كعادتي دائمًا؛

أهملُ الأبواب

وأفتح الكتب .

22

صديقتي نامتْ وهي تقرأ

غلافي الجميل

يحلم على صدرها الآمن

أنا كتاب .

23

لأن « ثمة أشياء لا نستطيع رؤيتها إلاّ في الظلام »*

استأنست كثيرا بمقبرة الكتب، رفقة الفتى دانيال

نقتفي «ظل الريح».

---

*الاقتباس من رواية "ظل الريح" لكارلوس زافون.

24

في هذه الليلة

سهرت مع المجرية أغوتا كريستوف،

كل شيء كان يحترق:

الكتب،والأحلام، وأفراد العائلة .

25

بمجرد أن عضتني قصيدتها

أحببت الفونسينا ستورني

تلك التي انتحرت غرقا، وذهبت إلى القاع

لتفتّش عن فجر يلمع في جوف صدفة

لكي « تحمل لي باقة حمراء

من زهور المرجان».

26

أنا أيضًا وقعتُ في غرام سيلفيا بلاث

قبل أن تنتحر تركت لي مجموعة من القصائد الأثيرة

ورواية لا تريد أن تنتهي.

تخْطِيب 1

27

كأننا التقينا قبل اليوم

في مكان آخر يشبه «ظل الريح»

أنا والجميلة « كارلا »*

كارلا العمياء وهي تتحسس وجهي بأناملها الحاذقة

التي تعرف كيف تثير الشهوة بحرفية بريئة في تعرية الخيال.

حدث ذلك في ليل مكتظ بأنفاس بيانو

في رواق مكتبة عتيقة.

28

وحدها تزهر في الغرفة .

كتبي التي تخليت عنها،

تضيءُ الليل .

---

* من شخصيات رواية» ظل الريح « لكارلوس زافون.

29

اعتمروا الخُوذَ

وتنكبوا البنادق.

خمسُ سنوات

لا أُمِّي ابتسمتْ،

ولا أخوتي عادوا .

30

يا للغباء

تجمعنا الحربُ؛

لكي نفترق .

31

لا شيء

غير دخان يصعد

وأرواح تطير .

صباح مكفهرّ .

32

لأن أمّه غابةٌ بثلاث جهات تتعارك
ظل بابُ الحوش
مثل طفل يلعب بقذيفة؛ ريحًا لا تهدأ .
لهذا كان البابُ
تاريخًا حافلاً بالحكايات.
هضم نصفَ شاحنةٍ من رفات الأشجار
ليكونَ بارًا بمتاهته.
أعمق من موسيقى تحترق في عبارة تائهة
وأكثر غدرًا من يوسف باشا
وأمكر من معاوية .

33

لأسبابٍ غامضة
تحوّل المغنّي إلى جزّار

والطبيبُ صار قائد مليشيا

وتاجرُ المخدّرات شيخًا بلحيةٍ أممية .

هكذا :

لم يعد لدينا ما نخاف لأجله

فقدنا أصواتنا في الحرب

وخبزنا في المآتم

ورقابنا في الفوضى

نموت طيعين

مثلما علّمتنا البنادق .

34

البنادقُ نفسها

التي التقطنا معها صورًا في الربيع

تصوّبُ سبطاناتها

نحو صدورنا .

35

كم هم أذكياء رجال الهلال الأحمر

ارتدوا الكمامات والقفازات،

وجمعوا الجثث من الشوارع .

ولكي يعودوا مرة أخرى

تركوا الأطفال

يلعبون ببنادق الموتى .

36

عدت وحيدًا

ورفاقي ضاعوا .

حتى في البيت؛

صارت الحرب؛ كل ما أملك.

37

لكم تمنيت

أن أملك قاربًا صغيرًا ،

ونصف لغة شقراء،

عوض الإصغاء

لأمّ تدفنُ أبناءها .

38

فيما أكثر من خيال

يبحث عني

لاحظتُ الفرق

بين جثة

وقصيدة.

39

تمامًا مثل قريةٍ مهجورة

هذه القصيدة؛

لا أحد يوقد نارًا .

40

روايتي التي أواصل كتابتها

منذ خمس سنوات ،

تخضع لانقطاع الكهرباء ،

وقصف المليشيات .

لهذا تعذّر عليّ

إحصاء القتلى

وكنس النفايات .

41

لكتابة وجهك كما أراه

تلزمني غابة من الأسماء الحارة .

42

في انتظار أن أموت بالسرطان

سأعيش تسعين عامًا أو أكثر .

لماذا تسعين عامًا أو أكثر ؟

لأنّ كل قبلة

ليست هي نفسها

التي تنتظر .

43

على الرغم من هذه الفوضى التي أحدثها السرطان؛

لا زلتُ أجلبُ الخبزَ والزيت والحكايات،

وأحمل أكثر من شجرة على كتفي.

44

أقمت ردحا من مرضي،

لا أبصر إلاّ ما تتيحه نوافذ كُتبي،

لا بيتي المهجور.

45

أن تصغي للألم

لعظامك وهي تتكسر

تَخْطِيب 1

وقد عجزت تمامًا

عن تدبير ممرٍ آمن للنوم .

هذا وطنٌ لا يُطاق .

46

حين أستسلم للنوم وحدي

وأصمت منزويًا في ركن معتم

لا أدّعي الأسى .

حين ألمّح إلى الصداع وغثيان الكيماوي

لا أعني المرض .

وحين أعيدُ قراءةَ رسائل قديمة

لا أعني الحنين في شيء .

وحين أبكي الذين رحلوا؛

لا أقصد الموتى .

47

أينما ألتفت لا أجد سؤالا؛

لغتي تاهت.

48

ربما ..

ربما بفضل الحماقة؛ لا الصبر

تصالحتُ مع الألم .

49

في تاجوراء مسجدٌ عتيق تربّع ببهاء

على عرش قلعة حزينة

هناك مصلون عوضًا عن مقاتلين .

يقول العارفُ: ليس من الحكمة

إضافة ريح لغابة تحترق .

تَخْطِيب 1

50

صحيح أن بيتي بلا شرفات

بلا حديقة تطلّ

بلا ماء

بلا خبز

بلا غاز

بلا كهرباء

بلا ساعات حتى.

لكنه يزهو بقليل من الموسيقى

وامرأة تمشط حلمها

و هذه القهوة.

صباح الخير .

51

لأنني أمسيت عجوزًا

وذاكرتي لم تعد تسعفني.

لا أستطيع أن أكون في مكان آخر.

أنا في البيت .

52

ﬠ السنين؛

تلك كانت أكبر حماقاتي :

كتابة الشعر،

الرفق بالحمقى،

وتخزين الأحلام .

53

ﬠ السنين

كلماتي تغطيها التجاعيد

وحذائي تحت السرير يذوي وحيدًا .

54

لدي أسباب كثيرة للحزن

لكن بمجرد أن أفتح الباب لأحفادي،

سأغدو بشوشًا

مثل كلبٍ ﬠ نزهة.

تَخْطِيب 1

55

في طريق السور
أمشي وحدي
مزهوًا بسماء مبلولة
في صباحٍ مبكّر
أحملُ خبزًا
وأغنّي .

56

في الستين
أنا شاعر عجوز
جسدي التائه
لا يقوى على حمل قصيدة .

57

خفيفة بأسى

ليلتي البارحة

سرعان ما اختفت.

شيخوختي المبكّرة

تقول كلمتها .

58

لأنني جرّبتُ الحربَ والمعتقلات،

وعرفتُ الصحراءَ على حقيقتها،

أفضّل أن تُطبَخ الحياةُ على نارٍ هادئة

الحبّ خصوصًا ..

ينبغي أن يكون ناضجًا .

تخطيب 1

59

كبستاني حالم

أستيقظ مبكرًا

فقط؛

لأنّ أكثر من شجرة

في انتظاري.

60

كلما هرمت؛ ازدادت المرايا شحوبًا،

ونفرتني كلابُ العائلة؛

كذلك لم أعد قادرًا على هضم الذكريات؛

تلك الحزينة،

التي لا تترك أثرًا، كما لو أنها غيمة خائفة .

61

قبل قليل كانوا أطفالا

أخوتي الذين أطعمتهم عسل الجبل

واشتريت لهم الأحذية الجديدة.

لكنهم ما إن كبروا

حتى اختفوا .

62

وهبتُ حواسها للريح ،

قصيدتي المهدورة ،

يجرها حصانٌ طائش .

ولا أحد .

63

أشرقت الشمس علينا جميعًا

استيقظنا جميعًا

وحيَّ بعضنا بعضًا.

فقط ....

أحدنا ظلّ عالقًا في حلمه.

64

في هذا الصباح

أشعر بامتنان للتويتر

أن أقول الكثير بكلمات قليلة.

وأيضًا لجارتي؛ تنشر غسيلاً وتغني.

65

أحيانًا

لا أفكّر في شيء

ولا أنتظر أحدًا

و لست قلقًا كما يُظن

أو خائفًا من الموت أو نحوه

لكنني؛ لأسباب لا أفهمها؛

أشعل سيجارة نكاية في السرطان

وأكتب قصيدة.

●●

أحيانًا

فيما جرس الباب يخضع لوطأة الغزاة

سأفترض أن محصل الكهرباء بعد أن ييأس

قد يرشق قسيمة الاستهلاك تحت وسادة العتبة

أو يودعها لدى الجيران ثم ينصرف

أحيانًا أنا كسول جدًا .

أحيانًا والعالم يمضي إلى النهار

أنا خميرة نوم

لا تعنيني النقود والمحطّات وأسماء الشوارع

والأسواق وشركات الطيران.

●●

أحيانًا أنا صياد فراغ

رقصتي تمحوها موجة .

لا شيء يبقى

66

حين شاطرت الكلمات نومي

توزعت قصائدي

في أحلام عديدة .

67

صحيح قد بلغت الستين
لكنني حين أكتب،
أصغي لما يُمليه عليَّ طفل.
طفل مخطوف،
لا يتوقّف عن صفعي.

68

حيث لا أحدا في البيت .
أسكب قليلا من القهوة
على النار ..
رائحتها المحروقة
تجعل الجدران أقل وحشة.

تَخْطِيب 1

69

عوضًا عن رواية واحدة،

رواية عصية؛ كَتبتُ صفحاتها السبعين، منذ ثلاثين سنة

فيما كنتُ الهث استجابة لامرأة خلقت نفسها.

رواية، لطالما أيقظني ذئب متربّص

لطالما حزنت؛ لأنني ركنتُ شعبَها جانبًا

قبل أربع سنوات نكشتُ رفاتها

كسرتُ أبوابًا وأشعلتُ نارًا هنا،

وهناك أعلنت نفيرًا.

وعوضًا عن رواية واحدة

تورطتُ في كتابة خمس روايات

جميعها بلا خواتم :

في «فايا لارجو» تركتُ جنديًا أسيرًا يُعَذّب،

في طرابلس، نشرتُ المزيد من الأرق،

في الصحراء الكبرى أشعلت خريًا؛

خالطًا بين أسماء القتلى والمفقودين،

في حي سيدي عبد الجليل عقدتُ قرانًا على فتاة ضائعة

ثم هجرتها بعد يومين.

أنا ساردٌ سيء بطبعه .

لا أعرف حتى الآن ماذا أصنع بجرائمي التي اقترفتها

صار لدي خمس روايات دفعة واحدة،

خمس كوارث مفتوحة بلا عناوين أو نهايات .

27 ابريل 2015

70

حين تخليت عن ساعة يدي؛

مرت الشمسُ نفسها،

وعبرت السحب والظلال،

من دون أن يتغيّر شيء .

71

من يهديك زجاجة عطر

ليسلبك حديقة،

من يهبك كلمة طيبة

ليشلّ لسانك،

من يعطيك شيئًا واحدًا ليأخذ كل شيء.

اتركه قبل أن لا تقوى على تركه.

72

إذا كانت الحتميةُ علمًا

أين سنضع حربَ البسوس

التي صنعتها صدفٌ غبيّة.

73

عشر سنوات مضت،

لا شيء غير المرض

كأنني مجرد عابر داخل بيتي؛

لا احتمل مضغ الخبز.

تقّوس ظهري،

وجدراني ترتعش .

74

في الحرب

جيراني الذين نزحوا بعيدًا

تركوا غرفهم مظلمة

ووسائدهم تجف وحيدة

75

شكرًا للذين تهدّمت بيوتهم

شكرً للذين فقدوا أطرافهم

وقالوا: شكرًا

لأننا ما زلنا أحياء.

تَخْطِيب 1

76

في عمان:

من جبل الحسين، إلى أبراج الحجاز

سائق التاكسي لا يكفّ عن الدوران.

ربطتُ حزام المقعد،

وفتحتُ «نساء أويا »* للمتوكّل طه،

حيث لا شيء يُذكر .

77

وحدها لغة ثرثارة ؛

تهبُ الكلبَ سبعينَ اسمًا .

78

عندما تمسي الكلمات؛

مجرد قشّ تذروه الريح؛ بلا معنى

عليك أن تتوقف.

الخيال لا يتّسع لحمار مغرور .

---

* رواية للشاعر الفلسطيني المتوكّل طه.

79

يبيدون أكثر من شجرة كرز
وضفدع في بركة ماء،
ليظفروا أخيرًا
بقصيدة ميتة .
قردةُ الهايكو العربي.

80

عندما تمطر
لا ألوي على شيء ،
قصيدتي معطف .

• •

أحيانًا أحبُّ المطرَ مشردًا .

• •

تَخْطِيب 1

أسحب كرسيًا
وأجلسُ في شرفة البيت .
أتذكّر الأمطار التي هجرتني.
تلك التي تتلعثم كطفل

●●

عندما تهطل الألوان
من مزاريب وأشجار نائمة .
ومن الكرسي الوحيد في الشرفة..
ومن شيء باردٍ له نبض مرح .
لا أشعر بحذائي المبتلّ.

●●

مرات كان يخطر لي
التخلّص من القبعة والثياب الثقيلة.
وأرقصُ في الشرفة عاريًا
لكني صرت عجوزا يحاذر نزلة البرد
وهذا يحزنني.

81

في الربيع؛

اجتاحتني رياحُ القبلي

فضاع صوتي.

في الصيف؛

أنا الجندي الصغير

اختبئ خلف ساتر رملي

ارتدي خوذة مموهة بشبكة غشّ

وحذاءً يكبرني.

في الخريف؛ أنا الحقل الذي يحترق.

وفي الشتاء؛

أنا الرماد الشهيد

في مواقد العائلة .

تَخْطِيب 1

82

أتغيّر من ساعة إلى أخرى

حيوان طائش

في غابات خوان ميرو .

83

لا أحد من المارة،

يرفع القبعة؛

قصيدة وحيدة

في الشارع .

84

كلاجئ غير شرعي

أعبر الشارع حذرًا

أرمي القمامة ،

وأعود سريعًا صوب البيت.

لا أحد يحييني .

85

لا أحد هنا يتبع الموسيقى

لهذا أفكر جادًا

كيف أنزع ضلعًا

لأجدك بجواري.

86

لو كانت عائلتي متعلّمة وثرية

لتفرغتُ لسبر ألوان ليوناردو دافنشي

عوضًا عن تعلّم الكلاشينكوف

والتورط في نفايات موسليني .

87

كلما تجاهلنا الأقفال؛

فقدت المفاتيح جدواها .

88

عندما طردني أفلاطون خارج السور،

تحررت من ترهات اليوتوبيا،

تلك التي تلطخ التاريخ بالأكاذيب

وترهنُ سرّتها لعبث الفلاسفة

لهذا أنا سعيد

أركض إلى أقصى حدّ

ولا أملك متاعًا

سوى ما علق بذاكرتي

من كتب وغيوم.

شكرًا تلميذ سقراط .

89

بعد معركة وادي الدوم

خسرنا الحرب

وكسبنا أخطاءنا

وصرنا شتاتا

تجمعنا ثكنات الوحشة.

90

أجدادنا الأوائل،

الذين شبعوا موتًا، وغنموا الجنة ،

أخذوا المستقبل معهم

وتركوا سيوفهم الصدئة؛

تقطع رقابنا .!

91

دونما دخان يشير

تركتْ رمادًا خلفها.

ذهبتْ الحربُ

بلا أبطال .

تَخْطِيب 1

92

لكتابة وجهك كما أراه

تلزمني غابة

من الأسماء الحارة.

93

في شتاء بعيد ؛مات أبي

جلستُ على عتبة البيت أبكي

مرّ رجلٌ عجوز يحمل سلة خضار

قلت له: أبي مات

أعطاني رأس جزرة

وتركني أنظر لمشية السحب.

94

كبرتُ بعيدًا عن أبي

حمار صبور

يحمل أوزار العائلة.

طرابلس يونيو 2016

95

في الشتاء:

رحيمة كأم،

تطرح ثمارًا دافئة

شجرةُ الزيتون.

96

تمامًا مثل الموسيقى الناعمة،

تلك التي تجعل الليلَ نظيفًا

والطعامَ يزهو؛

أجمعُ الكلمات

وأشعلُ نارًا.


2
سُكّان الريح

نزلة برد

أنا سعيد طالما الموت لن يكون غيابًا،

أو محض (حكاية سوداء)؛

وأنّكِ في وقتٍ ما ستبحثين عنّي؛ ستبحثينَ

في الكلمات نفسها، التي تركتها في الأرفف والأدراج،

في التراب، وفي العربة التي ستقلّني إلى التراب،

في ما سيخفيه الآخرون عنك،

وفي ما يعجزون عن ردمه،

في ما يرثه النوم، ليبقى مجرد شبهة نوم،

في الكتب وقد تخفّفت من غبارها، وأوزار عزلتها،

في ما يبقى عالقًا بالوسائد والثياب من روائح وموسيقى وصور،

في الصور التي جمعتنا كحبيبين،

وفي الصور التي فرقتنا، فيما تتزوين بغرفة النوم

منكبّة (كما يبدو) على معالجة خيالك،
فيما أتظاهر بالقراءة وأجلس وحيدًا (كما يبدو) على
الكنبة غاضبًا كلغم متربّص،
في ما أكتمه من وجع باتَ مزمنًا،
وفي ما تخفينه من رغبات بريئة،
في الأصابع التي تشبه أصابعي،
عندما أدخّن أو أستغرق منتشيًا بالكلام،
في مخلفات الحرب، التي تبعثرت بين خرائب الحرب،
في الضحك، وهو يحرسني من الخوف
وتطفل الغزوات البليدة،
في مساء الخميس، (كحكاية تائهة)
عندما أغادر الثكنة مزهوًا بمشية الشاعر، لا الجندي،
في صحراء تشاد، (كحكاية محزنة)
وأنا أترك الرمل خلفي لكي أستنشق البحر،
في أنفاس البحر، (كحكاية مبهجة)
لحظة أن يكون شاطئ الشعّاب مطلا كأب حنون،
في انتعاشة السفر، (كحكاية شغوفة)

حين أجلس في صالة الركاب متأهبًا للطيران،

في مخطوطات رواياتي(كتدوير للحكايات نفسها)،

رواياتي التي لم تكتمل،

في ما تنفضينه من ذاكرتك، لأبدو بعد قليل نظيفا من الشبهات،

في ما لا تستطيعين تذكّره، وتتكفل الصدف بإيقاظه،

في كل شيء قريب تلمسينه،

سأتخلل رعشة أناملك الحارة،

وفي كل شيء بعيد، (تديرين له ظهرك)،

سأنتظرك مرة أخرى،

حتى في النسيان (كحكاية كريهة)

تستعير مجاز الموت؛

سأبدو سعيدًا طالما (في وقت ما)؛

كنّا كأجمل حبيبين في جنة البيت،

وكزوج من الصنف النادر، في مطبخ متهالك،

غير عابئين بفرقعات القذائف، وأزمة الخبز والنقود والمحروقات:

أنت تصنعين الفطائر، وأنا أعدّ القهوة،

فقط (كما نظن)

لكي نتفوق على المرض والفقر

والفوضى والظلام، و (حياة الغائط)

بالشعر،

وبالمزيد من الشعر؛

أنا سعيد طالما سأبحث عنك، وتبحثين عني

في الكلمات نفسها التي لا تكتفي بوصفها

نزلة برد حادة،

أو أنها مجرد حكاية،

حكاية وكفى.

• طرابلس 10 مارس 2018

لإيقاظ شجرة

الأمنياتُ وحدها لا تصنع كرسيًا أو قصيدة
الأحلام البريئة كذلك،
ليست حطبًا جيدا لإشعال ثورات عظيمة،
لانتشال حديقة من الغرق،
لاستعادة قبلة نازحة،
لاقتلاع غيمة من قمر جبّ،
لاصطياد ضحكة صافية من حفلة تأبين.
وللمشي أيضًا، أبعد مسافة ممكنة في السرد،
للإطاحة بأغوتا كريستوف، وحتى شكسبير .
ليست الأمنيات وحدها
من يصنع سلّمًا أو حديقة
عليك أن تتوقّف
كلّما كانت هناك امرأة تنتظر .
لإنقاذ نهد من حظّه العاثر، لا تتأخر
والتحقْ بأصابعك

كجنديٍّ يهبط بمظلة،
تمرغْ كشاة تذبح .
وإذا شئت أن تكون ثائراً،
أو محارباً نبيلاً
لا يكفي أن ترتدي درعا،
أو تحمل سلاحًا لا يخمد،
هناك أكثر من طريقة
لإيقاظ شجرة أو مدينة في كهف .
من دون أن تترك خلفك رمادًا أو جنازة،
من دون إثارة أيما فاجعة أو فضيحة ،
يمكنك أن تهب القبلةَ عمرًا إضافيا .
فقط :
أطلق لسانك كما لو كنت تعتق عصفورًا .
دع فمك حرًا،
دونما تعاليم أو خرائط،
وأنت ترسم رجلاً سعيداً،
يتسكّع في البيت ..
دع خيالك يمشي .

سكّان الثُكْنَات

هناك،

عندما كنتُ من سكان الثُكُنَات

: ماذا تفعل بكتاب أيُّها الأحمق،

يُعنِّفكَ الضابط .

هناك أيضًا،

فيما الأحلامُ تحترق، ولا تترك رمادًا

فيما الظلالُ لا وجود لها، إلا إذا كُنتَ أعمى .

فيما الكلمات محض شتائم وعصيّ وبصاق

فيما الحربُ على الأبواب /

تكسّرت النوافذُ .

●●

ما الذي جعلَ ضابطًا صغيرًا

يثيرُ نصف قرنٍ من الغائط .

فيما تتناسل غرفُ التعذيب

ويتكاثر الرعايا .

فيما تضاف المزيد من الزنازين

كفصول لتربية الظلام ،

فيما الظلام يستعين بأسلافه الموتى،

فيما الموتى يعودون إلى الكتب والشوارع،

بأعلام وبنادق،

يهمسون مرة أخرى :

أين ذهب الضابط ؟

● ●

هل يقصدون نهرًا أو حديقة،

فيما كانوا يتركون جثثًا خلفهم .

هل يقصدون شجرةَ زيتونٍ أو نشيدًا،

فيما كانوا يصرخون .

● ●

لكن ما الذي جعل طفلة ترسم قبرًا

بهذا الجمال الباهر

وتقترح الأحمرَ الحارّ

لتلوين بحيرة ناعمة

هل كانت صغيرتنا الحلوة تبكي ؟

فيما كُنّا نيامًا

أو هكذا شُبِّه لنا

فيما شُبِّه لنا،

كُنا أكثر جرأة في النوم .

●●

فيما لم يعد للحرب جرحى يعودون

كما في الأساطير

انتظرت البنتُ خطيبَها،

فمرَّ الربيعُ حزيناً

انتظرت البنتُ مرةً أُخرى،

اعتذرَ الربيع

قالوا : انتظرت،

حتى لم تعد هناك حربٌ رحيمةٌ

لكي تنتظر .

وفي الصباح،

عندما لم يجد عاملُ القمامة البنغلادشي

بنتًا تتربّص

عندما انتهى الثائرُ

من إضافة أقفال جديدة للشوارع

عندما فرغ السكانُ

مِنْ هدمِ آخر بيوتهم التي حلموا بها

عندما لم يعد هناك وطن لكي يُحترق ....

: ماذا تفعل بكتابٍ أيّها الأحمق،

يُعنّفك الضابط .

● ●

أجل كنتُ هناك،

فيما كان الجنودُ فرحين بأسماء جديدة

فيما نصف الأسماء التي حملوها
كانت تبحثُ عن مأوى
أو كما ذُكِر في الأنباء،
كانت تنزف.
فماذا لو أكتشفَ الضابطُ
أنني أحمل بحرًا في حكاية .
فيما كانت أميرةٌ تغرق،
فيما صيادون ينتشلون أقراطا وأساور وقلائد،
فيما شمسٌ تنسحبُ من كراسةِ رسم،
لأن الأسود حين انسكب،
شوّه السماءَ فتبعتها الأرض.
لأن رؤيا الصغيرة،
وهي تُلوِّن كانت غاضبةً
وهذا يحدث أحيانًا لخللٍ في الطبيعة،
لأن الأميرةَ،
تركت شعرَها يطفو فوق الماء
لأن موجةً صاعدة

نثرت الشَّعر عاليًا،

فحمله طائرٌ،

وارتدته غيمة .

لأن شاعرًا كان جنديًا /

لستُ أدري،

ما إذا كان يحملُ قلمًا أو سيفًا

حتى أنني لا أرى الضابط .

فيما كنت هناك

: ماذا تفعل بجثة ،

أيُّها الأحمق .

• طرابلس 1 نوفمبر 2014

يأخذ المرأة كما هي

باختصار،

أنا الفتى نفسه،

الجندي المهزوم الذي آزرني لكي أضيع،

فأر الثكنات، قارض العزلة.

برهان النوم في عهدة الريح،

الخاسر دائما،

حيث الأحلام شيخوخة تزهر .

●●

الجندي نفسه،

السعيد، يهب يده للجرحى،

الساهرُ، يترك الخيارَ لعينيه تعصران الكتب

حتى آخر قطرة ظلّ .

لكي لا تصبح الموسيقى بلا عائلة،

والجسد تاريخا للفراغ .

●●

هو نفسه:

الروح الطائشة بألم.

الألم الشجاع، دائما يبتسم .

الصبور على ضراوة الخيال،

كمعنى أن تجد خبزًا في القصيدة .

●●

يقود الكلمات من حلمتها

إلى أن يدمى صوتها من فرط النشوة .

ومن باب الإنصاف في توزيع الظلال ،

ظلّ دهراً، ينتقل من غرفة إلى أخرى.

●●

الفتى نفسه

العائد من الحرب بأكثر من ذاكرة تنزف

عرف الكثير من النساء

بعضهن قصيرات، وحزينات بلا حائط

يسقط في شباكهن عن طيب خاطر

حيث الخضوع مفتاح البهجة ..

يأخذ المرأة كما هي

بذاكرتها المجروحة وقلبها الأعمى .

كمَا لو أنّ الحب صلاة استسقاء

أو كصنفٍ شهيّ لمقارعة الخوف،

واللعب بالمستقبل .

يد الموناليزا

في الحرب،

كنت ألعب عند باب البحر

غافلا عن قذائف فرسان الملكة إيزابيلا .

في الحرب لم أحفل بأسماء رفاقي الذين ضيعوني

كنت عربيدًا أعبّ النبيذ في خمارة قوس ماركوس،

صعلوكًا في (سوق الخبزة) ابحث عن سكين لمعالجة بطيخة ناضجة

منحني إياها مزارع من سهل جَّفَارَة .

●●

لم أحزر حينها

أن «مراد آغا» ورهطه من الأسرى

سيبنون قلعةً حصينة .

وبعد هزيمة فرسان القديس يوحنا

سيمكثون هنا أربعة قرون

حتى تتعفّن ترهاتُهم في سقيفة التاريخ

لهذا كلّما دخلت غرفة «للّاحلومة» لتنظيفها من البق والغبار

أحاذر مزاج الكسوف،

وغدر يوسف باشا

الذي يتجول في ردهات القصر متنكرًا بأردية الحريم .

لكن ماذا لو أتقنت رسم امرأة لها ثغر الموناليزا

عوضًا عن تعلّم الكلاشنكوف، وركوب المدرعات.

ماذا لو أجرينا تعديلا بسيطًا على كتبِ التاريخ العربيّ

وجردناها من كل الفرسان الذين صنعهم خيالٌ مريض،

وأوكلنا لزرياب وحده؛

تعبئة الفراغات التي تركتها سنابكُ الخيل .

● ●

في يومٍ ما

كنتُ كلما مررت بمحاذاة قلعة باب العزيزية

أتخيل حديقة بدلا من ثكنة .

والآن

بلادي ضاعت، وأنا لم اعد ذلك الفتى

كل ليلة أحاول تدبير ممر آمن للنوم

وأهمسُ لكِ

أعطني يد الموناليزا .

• طرابلس . ديسمبر 2015

كلب عجوز

كأي يوم مهمل :

«كلب عجوز ينبح لتقديم نصيحة »*

أشير تحديدًا إلى الجهة المتسخة بالبلغم وطبقات النيكوتين،

النافذة المكسورة في قلبي،

إلى شرفات طرابلس، وهي تختنق بسحب

الدخان المتصاعدة من خزانات النفط

التي دمرتها القذائف .

هكذا : كلب عجوز في غرفة نازحة

بطريقة صبورة يكتب « ثلاث نملات تعبر كتابا »**

حيث لن تكون سيرة الجندي متسامحة أبداً،

طالما أفكّرُ في الكلمات

---

*مثل صيني قديم .

**عنوان سيرة شعرية للمؤلف (مخطوطة)

كمعركة ضارية بين قبائل شرسة،
وأيضًا، يا للمفارقة :
كطوق نجاة لهزيمة السرطان.
لهذا أنا عاشق سيء
وشاعر مخل بتعاليم جنرالات العروض
ومتفائل جدًا،
ليس بإزاحة التخلّف عن كاهل المخيلة
فقط لأن الشاعر، لا الجندي :
من سيغافل الموت المتربّص باللغات
ليعود أخيرًا من « ميدان الشهداء »
بباقة ورد، وحكاية تمجّد صانع الفخّار
وهو يبتكر بيوتا آمنة لرعايا الفراغ.
لأن الماء دونما جرّة متقنة، وحشٌ أعمى،
يهبُ الطينَ جسدَ أنثى بخاصرة رقراقة،
وعنقًا يُسافر ، ويدين رحيمتين.
أعني صانع الفخار، المنسي في ضجيج الحرب.
لأن الماء أيضًا؛ صنوّ النار،

يكون حيوانًا ضاريًا وحقودًا

إذا تركنا عرائش العنب تجفّ وحيدة.

هكذا :

كلما أضفنا مشنقة، نخسر شجرة .

كلما أقمنا سجنًا، تختفي حديقة .

كأي يوم مهمل :

« كلب عجوز ينبح لتقديم نصيحة » .

رامبو نهاية الآخر

من وحل إلى قصيدة

تنمو جريرتك

من شارلفيل

هاربًا، تأخذ الشمس من قفاها،

من أمّك التي فمها لا يكف عن سلق الحشرات

من كومونة باريس،

بثلاث ضربات خاطفة

كل كلمة تنخرط، تتركُ أثرًا كلغم

من أختِ السرّة الآبقة؛

تنتصبُ اللذةُ الضاريةُ كحيوان مرتدّ.

يا ابن النقيب المتديّن

المنتزع بقوة الصوت وبسالة التسكع .

بلغتين تنطقُ الراءَ سليمةً من الغرق

ثم سريعا ، كغابة بريئة تجرها أربعةُ وعول،

جنوبا باتجاه العاج .

القصيدة: مومياء سرّك الصاخب

كنزكَ الذي يمكن سحب خارطته بنعومة، من شقوق حلم مهجور

«ربيع أسود » يتسلق جبهتك الطيبة أيها الكلب التائه.

أنت رامبو الأعرج،

الذي « أجّلَسَ الجمالَ على ركبتيه».

الملعون؛ عقابُ الخيال المقدّس

الذي لم نفهمه بعد .

رامبو، نهاية الآخر

الجزءُ المؤلمُ من عظمة الشعر .

هذه البلاد تروقني

أعرف أن الله خلقنا لنكون معًا

في هذه الغابة التي تتوغل بعيدًا في جسدينا

بوحوشها وأشجارها المفترسة،

في هذه الصحراء العارية كشاة تسلخ،

وثقلها الهائج، كحشد محتجّ،

بأصواتها الراكضة، التي تنهش الموسيقى

بأفواهها، وبراثنها،

وتاريخها الجائع

باندفاعها البهيم، وقد استعار مشتقات

محاربين قدامى .

في هذه البلاد التي تروقني رغم جمالها المحطّم،

وهذا البيت الذي لم يعد آمنًا.

وحتى في هذه القصيدة التي هجرها الغاوون.

كان خيالي يسبقني إليك

أنت المرأة الملولة،

التي تكره النوم وحيدة في الظلام

مع صراصير المنزل،

النضرة كبرتقالة مطعونة باللهفة،

دحرجها شتاءٌ عاصف في قصيدة نثر .

●●

أعرف أن الحلم كان دليلنا

وأن لا حيلة لنا، لكي نتوه مرة أخرى.

طالما الحلم أجمل خارج النوم .

وأن حبنا شاسع.

لا تسعه لغة أو خطيئة.

لا يحتاج برهانا لكي يُسمّى.

لكن لماذا تخشين موتي حيًا

فيما أخاف حياتي ميتا ؟

• ربيع 2017

من يوم إلى آخر

كمن يربّي أفعى في كمّه

ويترك النار في عهدة الريح

لست أدري لماذا أتخيل كل هذه الترهات دفعة واحدة

مرة أنا الذئب

ومرة أنا السلطان الذي يعفو عند المقدرة

مرة أنا الغابة

ومرة أنا الحطاب الذي يزهو بـأشجاره الميتة

مرة أنا الفأس

ومرة أنا الغصن المكسور الذي تخلف

عن ركب القافلة

••

من يوم إلى آخر

صرت فكرة عرجاء تثير الفزع

بين دواب التاريخ.

أنا قصيدة مارقة،

ووتر ضائع من ذاكرة الموسيقى

نفاية عظيمة تجتاح خيال الشوارع

عود ثقاب رماه مسلح ثمل فأحرق قرية بأسرها

فردة حذاء مختنقة بالرمل فقدت أختها في وادي الدوم

ساق مبتورة تنمو وحيدة تحت حطام مهجور

تتحاشى العقارب والكوابيس السيئة

●●

من يوم إلى آخر

أمشي غافلا في نومي

بلا وجه أو يدين

فقط محض غصن هش سقط من حزمة لم يُحكم ربطها

ليتخلف مع روث الإبل

ورماد المواقد وبراز العشائر الكريمة.

حيث الشمس تتشاجر مع نفسها بحثا عن ظل

ما من أحد شعر بغيابي

لا عائلتي المشغولة بتقشير أخطائها
لا ابنة العمّ في هودجها
وهي تغسل عينيها بالنجوم
لا أخوتي الذين تبعوا زوجاتهم؛
فانقطعت أرحامهم
ولا شيخ القافلة المتوجس من قطاع الطرق،
لا الحراس وهم يفركون النعاس بالحكايات المعادة
ولا ريح القبلي ذات المزاج الطائش
ولا يوسف باشا وهو يحيك الدسائس
لإخضاع القبائل المتمردة؛
حتى النار حين لم يبق شيء تأكله
صارت تلتهم نفسها.
كان العالم واهنًا؛
لا يقوى على المضي قدما.
وكان علي أن أقترض خيالا وأتدبر لسانا و جناحين.
أنا كل هذا الفراغ المتروك لترهات الفقهاء
وعبث المؤرخين.

من يوم إلى آخر ؛

تركتني ريح طائشة على سفوح أغنية حزينة

ضمني راعي مكدود إلى أغراض مطبخه. لكن

لعلها أعجوبة تلك التي أنقذتني من مواقد العائلة

لأن ابنة الراعي وهي تحمل جرة ماء فارغة

أخذتني معها؛

وحيثما لمستني الجميلة كان قلبي يخفق

ولأنها كانت عاشقة،

ملأت جرتها بالأحلام ونستني بمحاذاة البئر

كلما هَلّ عطرُ امرأة اهتزت لغتي

وطلعت من نسغي أوراقٌ نضرة.

ومن يوم إلى آخر؛

صرت شجرة تحضن بئرًا

أمنياتي تورق، وظلالي تكبر .

● ●

من يوم إلى آخر ؛

غابة من الكلمات

في كتاب مهجور .

المكوث في غرفة مطفأة

عندما التقي بجزءٍ منّي لا افهمه

لستُ أدري ما إذا كان في وسع حصانٍ عجوز

تفسير هذا الصنف من أمراض الكهولة.

كأن المكوث طويلا داخل غرفة مطفأة

طريقة مجدية لمزاولة الطيران.

هذا ما كان يشغلني طيلة عشر سنوات

تبعثرت بين المستشفيات.

يحدثُ أن أتكئ على ضحكةٍ ساذجة

حين تخذلني الكلمات؛

وحتى لا تترك الشمس أثرًا سيئًا على ذاكرتي؛

كان علي إسدال الستائر

وأن أكون صديق نفسي؛

فقط لكي أصمد.

بغض النظر عن الشقّ المزعج من وجهي؛
فمهما كان ألمي مروعًا؛
لست عاجزًا بعدُ عن الحركة.
كل صباح:
احملُ القمامةَ إلى المكبّ العام
وأعودُ محملا بأكياس الخبز والخضروات
اغسلُ ثيابي وأتخلّص من رائحة النوم.
أعدّ قهوتي بمزاج رصين
وأفكّرُ في الكتابة بوصفها رئة.
فقط أنا، صديقي الوفي؛
الذي مهما حدث لن يهجرني؛
لهذا كنتُ أحتملُ المزيدَ من الضنك؛ طالما أن
الزمن يجري بهذه القسوة التي تجعلني
أهرم داخل الكتب.
صحيح ليس لدي فكرة واضحة حين أبتعد عن بيتي؛
ولا المقدرة الجسورة على دفن الثكنات التي
تلازمني كطالع سيء؛

فقط يظلّ الضحكُ حيلتي الرحيمة؛

حتى لا أختنق مثل هاملت لأجل اكتشاف حقيقة محزنة

أو أُغْرِق الكتبَ مثل هولاكو لصناعة

جسر هش من ملايين الأرواح؛

التي قتلتها الصدفُ الغاشمة.

خارج هذه السير المتعجرفة

يمكنني تكبّد المزيد من الانتظار ..

من يدري ؟

طالما هناك لحظات أخرى

ينبغي إيقاظها.

ظلُّ الأعْرج

يحدث في هذه الليلة

كما في ليلة أخرى أن ينقطع التيار الكهربائي.

يحدث لكي أزيح عشرات الثكنات عن كاهلي،

وعن ذاكرتي ألفي عام من دخان الغزاة

و غبار الثورات وعصابات القتلة،

أن أصغي لأغنية حميمة تنبعث من داخلي

غير مكترث لهزيمة الأرق بأقراص النوم .

ربما لأنني أفكّر بطريقة جامحة في كتابة قصيدة،

على بصيص شاشة هاتفي المحمول.

هيا يا عزيزتي،

أنت كلبة مطيعة .

لكن قد يحدث في الأثناء أن افقد نظارتي،

ورغم ذلك لن أصخب مثل ذئب فوق تبّة مهجورة،

لأن الظلام مهما تعاظم

لن يحول بيني وبين المشي حدّ التعب.

فيما يقتحم اللصوص بنوكا وشركات،

أسلك طريقا بعيدا عن روما.

أرسم خططًا لغزو المخيلة .

فيما يسرقون الثورات ويسطون على مخازن الألفة.

أجتاح اللغة بحثًا عن شجرةٍ أصيلة،

أو طائرٍ فوق حطام .

هذا كل شيء :

فقط محض ترهات لظلّ أعرج،

فلا حاجة للقلق .

طالما يمكنني في هذه الليلة الحالكة

كما في ليلة أخرى تقبيل حبيبتي،

وكتابة قصيدة وأنا مغمض العينين.

ولا مبرر للغضب

من أجل نظارة ضائعة، وعلبة دواء تائهة،

وحلقة مفاتيح ربما كانت قبل قليل

على المنضدة أو في جيب سترتي.

ربما لأنني تعودت فقدان العديد من الأسماء

في معارك غبية.

فأحيانا ثمة كتاب يختفي فجأة من أرفف المكتبة،

وولاعة سجائر تغادر بطريقة غامضة سطح الطاولة،

ويتلاشى رقم هاتف من قائمة الأسماء

وتنسحب فردة جورب من محراب حذائها

في صباح مبكّر

وتختفي ساعة اليد دونما سابق إنذار،

فيما لا أذكر ما إذا وضعتها على الكومدينو،

أم فوق رخامة الحمام .

يحدث الأمر ذاته مع الأمشاط وقلامات الأظافر

وفرش الأسنان .

وأيضا مع خاتمي هو الآخر،الذي حين افقده

يجعلني أعاود نبش الأدراج ذاتها .

كل هذه التفاهات الاعتيادية،

لا تعني شيئا لرجل متشرد في الألم،

ففي نهاية المطاف لا شيء يدعو للحزن

طالما ستظهر الأشياء الضائعة بعد حين،

وبمحض الصدفة،

لأكتشف أن الوقت الذي أهدرته في البحث

عن مقتنيات صغيرة

يبدو أكثر سخرية وأنا أستسلم للضحك،

وأن أي ارتباك هنا، سيبدو ساذجا وأحمقا كطفل يعاني

من رهاب المرحاض .

هزيمة رخيصة أمام الغائط .

● فجر الاثنين 21 يناير 2013

مقبرة الزهور

الشيء أن ترى نفسك أكثر من حكاية في رفّ من
قناني عطر فارغة
الشيء أن تكبر دون أن تغادر عاداتك السيئة
حيث ما من كلمات غير ذاكرة الروائح
لهذا تحول احد رفوف مكتبتي إلى مقبرة صغيرة
أعني الفوارغ من قناني العطر؛
التي أصفّها كقبور أنيقة لملايين الأزهار الميتة.
وفاء لرائحة صلاة ناعمة كقبلة مسروقة في مصعد كهربائي،
للقاء متأخر بين عاشقين في مقهى الصفوة
صلاة غائب،
إكراما لقبر صغير من بلّور ماليزيا،
يحاذي ثلاثة قبور نظيفة،
لفرسان مدججين بدروع ذهبية.

ثم قبر كبير لروما،

جلبته أثناء عبوري قادما من كاتنزارو

في رحلة قطار شاقة

يليه قبر متصدّع من أعشاب إفريقيا

جوفه قاتم وغلافه من طين

جاء محمولا داخل حقيبة ظهر عسكرية

عبر الصحراء الكبرى من فايا لارجو إلى البيضاء.

وأخيرا ثمة قناني أخرى بلا علامات

في يوم ما سقطت أحداها على بلاط الغرفة فانكسر غطاؤها.

● ●

لكم تبدو الفكرة ضالة:

قبورٌ صغيرة؛

لحشدٍ من الحدائق المنقرضة.

● طرابلس خريف 2013

تجارب

كيف ستعرف الجميلة أنني أحبّها،

أنا الجنديُّ الحزين الواقف متنكبًا بندقيتي

أمام مخزن للذخيرة.

أرتجف من البرد والوحشة.

لا أحد هنا يشير إليّ

●●

في يوليو 1973 تسللت إلى الإسكندرية؛

لأول مرة أمارسُ الحبّ خارج نومي،

ولأول مرة خارج السينما ارتاد مراقص وبارات.

عدت مصابا بالدهشة والسيلان.

بعد عام كان يمكن أن أكون في ستوكهولم

لو لم يشتبه أمنُ المطار في جواز سفري المزوّر

توهمتُ أن هناك فتاة جميلة وشقراء

لطالما حلمتْ بي هي الأخرى

لنطوف معًا الشوارع والحدائق والبارات

وحين نتعب؛

سنؤجر غرفة صغيرة في حي آمن،

لا وجود فيه لمعسكرات وسجون

وبوابات، وقبعات حمراء.

وستعاملني بالطريقة التي تحترم خجلي.

في السنة التالية:

لم يفصلني سوى يوم واحد عن شواطئ مارسيليا،

حين قبضت علي تحريات الشرطة العسكرية

في مصيف صبراتة البحري.

على هذا النحو سأودع السجن لأكتب قصيدة ضائعة.

لكن كيف ستعرف الجميلة

أن الوردة التي قطفت لأجلها ذبلت؟

أعني تلك التي خبأتها في جيب معطفي العسكري

حتى لا يراها ضابط الخفر،

وما تزال بعد أعوام ثقال رائحةُ أنفاسِها
تنفث من أصابعي.

● ●

هناك في معسكر الكتيبة 23 مشاة،
في مخزن المهملات، حيث كنت مع الفئران والصراصير
والعناكب.
كنت صديقًا وفيًا للكتب والأحلام .
أحيانًا أنخرط في حبها السري كصلاةِ استسقاء،
وأحيانًا أعتقها من الروايات.
حدث ذلك:
قبل أن أراها أو أسمع ضحكتها.
وحين احتقنت بتلات الوردة؛
خبأتها بين دفتي رواية «مائة عام من العزلة»
حيث كانت «ريمدوس الجميلة»
تتحول إلى طائر أو غيمة .

● ●

لم أخبر أحدًا بما ضختته الثكنات ﭬ أوردتي
من تجاب ضالة،
ربما لأن الكلمات كانت تتضاءل خارج خيالي
عندما أخذوني إلى حرب تشاد
ﭬ جوف معتم لعربة «بي تي آر» مدرعة.
كتبتُ أكداسًا من الرسائل
عبر السوانح التي تتيحها القذائف
لكي تظل مخبأة مثل كنز .

●●

أجل، كيف ستعرف الجميلة
وأنا محض جندي حزين
فيما المستقبل الهرم يمضي فخورا بترهاته .

كل امرأة أعطيها اسما

حتى الآن، شطرتُ العديدَ من المعاجم
بحثًا عن شيء أتوهم بأنني ضيعته أثناء سقوطي
من سلّم الطفولة،
كحادث عابر في أول الأمر .

● ●

في يوم ما قلت :
لا وجود للشعر بعيدًا عن منازل النساء.
في يوم ما أيضا، كنت عربيدًا،
حين كتبتُ قصيدة «رجل بأسره يمشي وحيدا»

● ●

لكن عندما غرقتُ في النثر،
تصالحت مع ألمي ولم أصرخ
كما يتردد في مقاهي النميمة.

●●

حتى هذه الساعة قد تجاوزت بصمت

العديد من الثكنات تاركًا أطلال الوجع وخرائبها الدامية

تستغيث بظلي،

وأبيّ الذي مات قبل أربعة وأربعين شتاءً.

متجاهلًا كل معاركي الصاخبة مع الجراحين والممرضات وسائقي الإسعاف .

●●

غير نادم بالطبع حين سلّموني (كلاشنكوف)

وحملوني إلى جبهات الجنوب.

ولا أخشى من تفسّخ تاريخي في صحراء صبورة،

ربيت مكرها على مهل .

●●

صحيح : قد تعبت،

صحيح : فقدتُ جزاءً كبيرًا من مشيتي، وتعذّر عليّ استعادة خطواتي الرشيقة،

وضحكتي الأولى، عندما كنت اقفز بخفة

من امرأة إلى أخرى :

صحيح : كل امرأة تتقدم أعطيها أسمًا،

حتى لم يعد لدي ما يكفي من الكلمات.

لهذا ظلت قصائدي الأخيرة دونما عناوين.

اتركها تتخبط داخل صناديق مهجورة

حتى تتساقط حراشفها وتفقد ذاكرتها النشيطة .

●●

ولهذه الأسباب وغيرها

سأتشبّث بحبكِ.

هذه صورتي

هذه صورتي،

لوحة صحراء تخلو من سحرِ المخيّلة.

على خلفية موسيقى سائبة

في مقهى بحري مهجور.

ساعة حائط عرجاء ووحيدة رسمتها طفلةٌ ناعسة.

أسير حربٍ بيدين عاطلتين عن هبة الحب؛

هي حرب ضالةٌ

نشبت بين حطّابٍ أعمى وغابةٍ لئيمة،

بين جنديٍّ مغفَّلٍ وحبيبةٍ تنتظر،

بين حبيبة تنتظر ونافذة حالمة،

بين نافذة حالمة، وقذيفة مجهولة،

بين جيشين منتصرين،

كلاهما ينسحب ظافرًا بتوابيت مرحة

وأبطال بأطراف صناعية، ومدن مهدّمة،
بين قبائل طيبة الذكر، تجيدُ النهبَ والقتال،
وقبائل أخرى، طيبة الذكر، تجيدُ النهب والقتال،
بين ثوار شرفاء يحبون ليبيا،
وثوار شرفاء، هم أيضا يحبون ليبيا.
هكذا هو الآن وجهي:
مثل شيءٍ لا يحدث إلا مُكرها كأبغض الحلال عند الله
والتبول أثناء النوم
والمشي ليلا في حديقة ملغّمة؛
كالعزوف عن الحلم،
وانتظار الأعياد، وقدوم الأحبّة،
كمقاطعة الأصدقاء،والشوارع،
والإضراب عن الكلام ..
وربما ذاويًا لضرورة السفر داخل مرحاض مغلق بإحكام،
يشبه قصيدةً ميتةً،
لشاعرٍ سيءِ الحظّ.

● ●

هذا الجدار الذي يتداعى: ظِلٌّ وجهي؛

وأنني إلى هذا الحدّ صرتُ متعذرًا

عن كرامة العطر،

وغواية رباعيات الخيام،

ومولانا جلال الدين الرومي،

بحيث لا وجود لباقة ورد،

كهدية مضادة لكآبة الطقس،

أو ترتيب جنازة باذخة

تليق بمهابة شهيد العزلة.

●●

قبل ثلاثين سنة أو ثلاث وثلاثين

عندما فاضت المعاجمُ الرحيمةُ بمديحها

وغمرت ترانيمُها المعتقلات النضرةَ

والصحفَ والمقاهي،

كنتُ فتيًا

وربما جنديًا شجاعًا،

أو عاشقًا طائشًا بعض الشيء.

أنا لا أحد غيري،

صعلوكُ بهاءٍ، وانهارٍ سخيّة.

جوابُ ليل، وقفاءُ طرائد.

عندي ما يكفي من منجنيقات الخيال

والأسماء والنجوم،

لكي اعبر واثقًا دونما ريب

من قصيدة جميلة

إلى امرأة أجمل .

إذن: هل ثمة شبه بين وجهي

ولعبة طفل وسط الحطام،

أو التنزّه عند ضفاف بحيرة السرايا الحمراء

على إيقاعات القنابل،

ونشوة رقص مباغت في شرفة منزل مهدد

بالقصف،أثر هجوم معزّز بمشتقات

كروم باركها الطغاة.

هل ثمة علاقة ما

بين وجهي

ووطن لم نعد نفهمه ويفهمنا،

كما يليق بعاشقين بريئين من شبهات الرجم،

بين وجهي،

وسماء ضائعة في متاهة الكتب.

هل هذا وجهي؟

فزّاعة عصافير،

مضخة أسرار لصندوق أسود في بث مرئي مباشر،

غرفة عمليات بأربعة أرجل مشبوهة،

محاكم تفتيش من ذوات براثن الديجتال،

نازحون يتضورون، بأصوات عجاف،

مثقفون رحّل،

يتبادلون جثث الضحايا عبر شاشات الهواتف الذكية،

محافل ذبح وشيوخ يرطنون بلهجات أممية

سياسيون من فصيلة الكلاشنكوف

يخططون لمستقبل ناعم،

عسكريون متجهمون بأربطة عنق

يُنَظِّرون لصناعةِ دولةِ الحداثة

أمراء حرب، هائجون يؤثثون مخازن جحيم

وسلخانات وحرائق.

فيما حبيبتي تنصحني بمحلول القرفة،

واللجوء إلى يوتيوب الكاميرا الخفيّة،

عوضا عن متابعة أخبار المعارك.

تنصحني بمزاولة الضحك،

والنوم المبكر؛

لأن وجهي،

بعد ربيع الثورات:

نفاية وطن، ومكبّ فوضى.

أنا ضائع .

• طرابلس 14 اكتوبر 2014

لا أحد يصدق أنني طائر

عندما كانت المعاجمُ خصبة بالجنرالات

كنّا جنودا في معسكرات الريح

نتعلّمُ برعونةٍ كيف نقتلع الحدائق،

لنزرع جثثا طازجة /

نتعلّمُ لؤمَ الجوع وفضيلة الموت الأصمّ .

في المعسكرات النائية

ذات الأسوار الصفراء، والأبواب الكبيرة الجافة /

أعلمُ،

لن يبقى إلاّ الغبار .

لهذا

في مخزن المهملات، غرفة نومي الآمنة،

استضفتُ خِفْية مولانا جلال الدين،

وغنّيت دونما ضجة /

مبتكرًا العديدَ من الحِيّل لاصطياد الخيال،

لتظل الكلماتُ نضرة،
وصديقة على الدوام ....
وحتى لا يقف الحزنُ عائقا أمام ضراوة العطر
استجبتُ لحكمة الروائح ....
ولكي لا أنقرض،
كنت أقرأ صفحة من مولانا قبل الجمع الصباحي،
لأنّ السعادةَ سَفَر .

••

في « فايا لارجو»،*
تعرفتُ على المزيد من الجثث والذباب الأزرق
غير ملتفت للحيوانات الجائعة.
لكن هذه الحياة الكلبة لا تصغي.
لهذا دعوني أخبركم،
عن أكوام القتلى من الجنود الذين تُركُوا في العراء
على الرمال الحارة

*فايا لارجو : مدينة في الشمال التشادي .

في صحراء «فايا لارجو» ....
عندما ساقونا إلى هناك،
في ذلك الخريف الكالح من سنة 1980 .

●●

سأحكي لكم عن عربدة العجاج الغاضب
وفطوم، تلك السوداء الناهدة،
وعطرها الجامح
عن عيسى راعي الماعز،
الذي سرق طحيننا وزيتنا، ليختفي فجأة،
عن رفاقي في دورية الاستطلاع
الذين احترقوا داخل عربة ال B-T-R.
عن أشياء كثيرة لم أعد أفهمها
لأنني الآن،
كما أظن،
أنا هنا.

●●

هنا،

حيث لا احد يا حبيبتي

يصدق أنني طائر.

فما الضير إن تركت للكلمة حرية الصمت،

لتحطّ على شجرة،

أو حبل غسيل،

أو غيمة.

يكفي أن تومئ وهي تغادر العشّ،

فيما هؤلاء العابسون

الذين يكرهون الموسيقى

يرونني محض ظلّ أعوج سقط من حكاية مُعاقة.

لا أحد يصدق أنني طائر

ليس ذلك خطأي؛

إن لم أملك من متاع الدنيا غير عكّازين

وسماء قاحلة تحملني على نقالات

مهدّما من الداخل مثل أحلام مهجورة.

أجل، ليس خطأي يا حبيبتي

إن عدت من الحرب أغنية مبتورة الأطراف

سقطت من جراب متسول أعمى

أو تركها سكير، تنسكب على أرضية حانة قذرة .

حبّهان

تمشي حافية قهوتُها الحارةُ

تمشي واثقة من نبالها

قصيدةُ سين

التي تصطادُ وحوشاً لا كلمات.

بضربات قوية

تهزّ عرشَ اللغات،

حيث يلزمنا أن نعترف:

بأن سين

اكتشفتْ ضرورةَ الشعر، لمعالجة سرطان الرئة

●●

هذه الليلة:

أنا سعيد جدًا

بارتباك قافيتي

وقد تخلخل يقينُ الموسيقى

بغضّ النظر عن هذا المتن السكران

وقد انسحب الأطباءُ أخيرًا

وانزوى هرجُ الممرضات خارج أذني .

السريرُ إقليمي،

والوسادة نافذتي التي أتشاجر معها .

● ●

في هذا العطل من جسد العالم

ربما تكسر زجاجُ معرفتي

وأن سماء غرفتي ملبدة بالدموع

لكن سكاني الأوفياء

يخيمون قريبًا من أحلامهم

من قهوتكِ الحارة يا (موني)

وقد تماهت لُغتي

بثيابكِ المرحةِ وهي تتأهب للرقص

مزهوة بحدائقها

بأحذيتكِ الفتيةِ لمّا تتأنقُ في رسم مشاويرها .

وبقصيدتكِ

وهي تمشي واثقة من نبالها

تصطادُ وحوشًا،

لا كلمات .

●●

أن نصغي: تختفي المسافات والضمائر

نضع يدًا على الباب،

وباليد الأخرى أكثر من ثلاثة مفاتيح، ومظلّة.

ها هي برلين تمطر .

● برلين. 16 يوليو 2012

ملكٌ في المنفى

في هذا البيت الذي أحبُّ خموله الوادع،
في هذا المنتجع من الكتب والألعاب والحكايات،
في هذا الإقليم الحافل بالعطر والخوف والنسيان،
وشقاوة الأطفال.
في أويا،
التي لست أدري كيف أحتفظ بحبّها؛
من دون أن تصيبني رصاصة طائشة.
هنا في شقتي المتصالبة بأسى/
في هذا السطح المتصدّع بالضوضاء من باب بن غشير
مازلت أتلذذ بقهوة سميرة وفناجينها المرحة ..
كل شيء بين يدي أميرتي نصف الأمازيغية
يستسلم لغزوات قصيدةٍ،
رُبِّي خيالُها على مهل :
الكيك، والحكايات، والمشاوير، واللوز المحمّص، والدواء،

وضوضاء الشارع ..
لهذا مازلت أقترفُ المزيد من شبهات النثر
ربما أتألم أحيانا /
أعني : قد أتناول الألم طازجا و نشيطا،
وأحيانًا يطيب لي، تداول الحديقة المجاورة
التي كانت سجن الحصان الأسود
والذهاب إلى فرن الحيّ،
أو رمي القمامة،
ومراجعة جمعية المحاربين القدامى ......
لكنني أريد ما تبقّى من قصيدتي أن يظل متربّصًا بالداخل
حيث الحياة، عليها أن تصمد،
كما يليق بسلحفاة صبورة في غابة منبوذة.
ففي البيت ذاته، وأنا أحدّث أميرتي
عن صباي المهمل في حي سيدي عبد الجليل
اكتشف ببساطة، حكمة التغاضي عن الموت،
مستسلمًا لمشيئة أناملها الجريئة،
تداعب وشم يدي ..

لأن الرحيم يرغب في ذلك،

فبعد أن تركني أبي وأبناء أمّي وأصدقائي، متضوّرا ومنسيًا...

ها أنا ذا /

مازلت أستمتع بالقراءة،

وتلميع أحذيتي،

والإصغاء لرسومات أطفالي.

أنا أخيرًا في هذا المنفى

من يجمع الكلمات الضالة،

ويصقل النار،

لأن امرأتي المليئة بالنغمات

الباسمة والنظيفة كصبح في صحراء

النقية كفرح أعمى

الجميلة الخالدة – دائما أفكّر – يلزمها مدينة آمنة

لكي تُزهر.

لأن هذه البقعة الخاملة،

التي نختبئ داخلها كيرقات خائفة

أحيانًا تنوء في التعب

أحيانًا تزهو مثل آخر يوم في حياة عاصفة

وأحيانًا، هي حربٌ تتبختر بضحاياها،

وكلّما تتفاقم /

تترك مخلفاتها النائمة في حقول اللغة.

لهذا نخشى كثيرا على القصيدة .

القصيدة التي سقفُ الغرفةِ وبابُها

التي قهوة تتململُ، ووردة تتثاءب .

والتي كما يبدو هنا،

ليس بالضرورة أن يُحتفي بها جهرًا

ربما لأنها لا تشبه ديوك سيبويه، ومطارق الفراهيدي

وربما ثمة الكثير مما تخفيه عن أشباه الشعراء الأشباه

لذا أيُّها الهاتك،

ستصارع أكثر من ورم متربّص

ووحش مثقف في غابة ثائرة /

لاقتحام أنثى ببهاء نبيل

لا بد أن تدكّ عشرات القلاع من عظام الموسيقى الصلبة

ريثما يغدو البهاء بهاءً نازفًا عن كثب،

ناعما وفاشيا،

مصاغًا بأبّهة أربعة عقود

من فتنة دامية ....

أيها الهاتك /

عليك أن تتخندق خارج معتقلات العروض دونما هوادة

لتقارع القتام الملتحي بضراوة زاهد

قد تظل دهراً مثل كنز في كلمة مهجورة

فما من أحد هنا سيحفل بنشيدك .....

فلطالما شدوت،

حيث على جميع الأسماء أن تُنسى؛

لكنك ستظلّ تاريخًا منبوذًا

ريثما يكتفي اللصوص والمتطفّلون ودهاقنةُ البغاء

ويغادر الخطباءُ آفة الحفظ،

ويتمرد صغارُ الجنودِ على ضبّاطهم السفلة،

ليسوا كمجرمين أو شعراء

أو عشّاق مخمورين

بل كأطفال ضاقوا ذرعا بأحذيتهم الثقيلة وألعابهم النارية...

لأنك منذ أن صرت كلمة نازفة

تخلت عنك المحافل والأعياد .

منذ أن غدوت جنديًا

صارت المخيلةُ أكثرَ من أنثى

في رسالة حبّ .

بهذه الرأفة الثرية بالألم،

ستمتلك ما تفكر فيه

البئر والحبل والكتاب، والشجرة وشقاوة الظلّ،

تمتلك العواصف والسحب ومكبرات الخيال،

العزلة والنار ونوم الغابة،

حتى لا تسأم العيش وحيداً مثل فحلٍ متضوّر

في قصيدة نثر /

«الجمالُ أنْ تُنْسَى

لِتبْقَى مَلكاً في المنفى» .

• باب بن غشير 21 مارس 2013

ستُ ضفافٍ للعطر

هل تعرفون عاشقًا،

حين تعب من كونه عاشقًا

صار حديقةً بست ضفافٍ للعطر.

●●

هل تعرفون جنديًا

أينما يذهب

لا شيء يحول بينه وبين الموت

سوى التشبث بوردة أو قصيدة.

في الثكنات ترعرع نصفُ ذاكرته

في الجبل، طريدًا من تحريات الشرطة العسكرية

في أقبيةِ الكتبِ، يفتّشُ عن امرأة.

في حرب تشاد، مقتلعًا من آدمية الحب والشوارع

يحفر خندقًا في جبهات النثر
متربّصا شهرزاد
بهيئة زنجية تتحررُ على ضفة « عين أوجنقا».
هل تعرفون جنديًا بهذا المقاس العصريّ
يتيما إلّا من خيالِه،
يعّبرُ ثلاث قارات مرحة،
على نقالات وكراس متحركة.
خمسة أعوام،
وهو يصعد التبابَ والمحنَ الحدباءَ دونما ضجة.
في الباص، من باب الهوى، إلى جبال إنطاكيا
يُصغي إلى أنفاس «موني» النائمة،
وهي تعيدُ ترميمَ السحبَ والمراعي
وقد امتزجت القبلُ والصلواتُ والنجوم
فهل عرفتم من هي موني ؟
تخلّوا عن ساعاتِكم وهواتِفكم، يا قراءَ طوق الحمامة؛
ستعثرون على غصنٍ خجولٍ
تدحرجَ من عرائش بيتٍ رحيمٍ في زنقةِ الخروبة،
ستعثرون على إبريقِ نحاسٍ من سلالةِ الأمازيغ

وصرة رمادٍ – اللّهُ وحده العالمُ بأسرارِ الطير–
اعتقوا الغصنَ يا أحبابَ الواهبِ: حقلاً من العنب
اسكبوا الإبريق أيّها المريدون،
ستخرجُ الفراشاتُ من أكمامِ النوار
وانثروا الصرّةَ برفقِ العابد،
سيحلّقُ طائرُ الضوءِ في ليلِ الحكايات
لأنّ مُوني حين كانت تُعِدّ الخبزَ والكعك.
يتسلّلُ النحلُ من ربيعِ الثورات
ويعقد مهرجانًا حول أناملها.
حدثَ ذلك في حربِ التحرير
حيث لا أحد في تلك الحرائق يُعيرُ أذناً للشاعر
وهو يستدرجُ سيرةَ الضوء
بينما فرقعات الرصاص تعربد في ليل (باب بن غشير).
ها هو، لا ينزوي خارج الوطن
حين يجلس جوار نافذة غرفته كفكرةٍ مشردة
ها هو الظلامُ يرتدي سماء بلحيةٍ أممية.
وهذا ما يخشاه،
عندما الظلامُ والرصاصُ يتّحدان في جبّةٍ عصماء،

وحقولُ النفطِ تُنتخب بإجماع الكلاشنكوف
لتكون بديلاً لمزارع الحشيشِ في قندهار ..
وأن تستعيد الكهوفُ دورتها في صناعة العزلة
ومنهجة الظلام،
وتشتعل الجنّةُ تحت أقدام الحواة.
هاهي الأرانب تقفز مذعورة خارج قبعات المريدين.
ها هي بنغازي حاضنةُ المهاجرين تثورُ مرةً أُخرى،
وهَا هُنَا الملحُ والدمُ والنارُ يا مُرَبِّيتي.
لكنني أسأل،
فقط أسأل
هل تعرفون كهلاً
لا يخجل من كونه مازال يمشي بخيالِ جنديّ؟

●●

هل تعرفون عاشقًا،
حين تعب من كونه عاشقًا؛
صار حديقة .

● طرابلس خريف 2012

أبوابُ أويا

- 1 -

أثناء خروجي،

سيدتي حمامةٌ والبحرُ نائم .

وحين استيقظ الريّانُ،

سيدتي غزالةُ برٍّ ؛

سيدتي التي كما يُحكى في الخرافات،

نطفةُ خيالٍ معتّق،

جوّابةُ حلم،

وسفرٌ طويلٌ في صحراء مجهولة.

●●

سيدتي الثريةُ بكنوزِ الغيبِ ومآثر التجار

وهوسِ السلاطين.

لم أرها في البدء إلا شغفاً بركوبِ الشعر،

وهي تضخّ دماءً طازجة في أوردة التاريخ؛
إكراما لأسم النار .

● ●

مشغولة هي بخيولها .
كما لو أن شاعرًا ثملاً
بعثر نجومًا وأجنحةً في سماء أويا،
وقال:
أنا هذه اللغة.

- ع -

قالت سين:
لا تنسى الوردةَ حين تأخذ بندقيتك إلى لحرب،
لا تنسى عطر حبيبتك في الخندق،
لا تنسى رباط حذائك محلولا .
ولكي تطفو الكلماتُ البليغةُ؛
علّمها إيواء البساتين في رئةٍ حصينة.
علّمها أن تكون قريبةً عن بعد،

لا تخشى الغرق في المعنى،
أن تغوص أكثر،
وتترك السماءَ خلفها بريئة من أخطاء المريدين،
والطيورَ المغرورةَ أسيرةَ علوّها.

- 3 -

بعد خروجي بقليل،
عالجتُ شراعًا من بضعة ثياب عسكرية مهملة،
رتّقتُ موسيقى صيدٍ بأوتارٍ جريئةٍ، هي ما تبقى
من كمانٍ مُعاق..
وتجولتُ بين إناث العواصم .
كما يحلو لبائع مخيلة، سكنتُ الجزء الفحل
من الأقاليم الفاتنة.
قالت لي:
انتظرني عند ضفافٍ لا يخطئها الحدسُ
فأقمتُ حيث تتسكعُ أحلامٌ وحيدةٌ في الليل،
ومحافلُ الوجدِ تستدرجُ أتباع السرّ،
الذين ما أن تولوا عرش المعرفة؛

حتى نُصبت المشانقُ في الميادين،
واختفت حكاياتٌ وأشجارٌ ومسارح وتماثيل.
قالت :
عليك بحديقة نظر، أبعد من أسوار الثكنات،
وامرأة لا تشبه زنزانة أو قبرًا .
فاخترت عائلتي،
وأقمتُ السفرَ داخل كتبي.

- 4 -

قالت لي:
عليك بالرفيق قبل الطريق،
فاصطفيت خلّين، أحدهما حمارًا بهيئة شاعر
والآخر سانشو، جريرة ظلّ .
وتوكلّت على فراسة صوتي في تأويل الظلال،
بلا ضوء يذكر .
اقتفيتُ الإشارات التي قد يخطئها العابر،
وقرأت خرائط الريح،
واخترت كتابين ضدّين

إن ضاقت سماء الأول،
تكفّل الثاني بإيواء الأسرى
حتى لا يمسي الانتظار شريكًا في تقويض المجاز .
ولم أحفل بكنوز النوم دونما شمس صغيرة
تلبّي لهفة العاشق.

- 5 -

قالت لي :
هكذا يكتمل نصابُ التجارب؛
رجلٌ وامرأة وطفلان في شقة صغيرة تفيض بالرغبات.
أحيانا لا ينمو الحب إلاّ شجاراً.
والألفةُ، أن نُهذّب قتامةَ البنّ بنعومة الحليب
لنستمتع بالكابتشينو .
أن نجلس في هذا الركن المهمل من ربيع الثورات
نصنع الخبز والقبل والكلمات
ودونما تذمر، يُعاش الحبُّ بالفطرة؛
حين يتخلّى الحملُ عن فكرةِ الذئبِ الجائع
وتستأنسُ الشمسُ لوناً لا يُسمّى، اخترعه شغفُ طفلةٍ ترسم ؛

لتستضافُ الأشجارُ والنجومُ والأحذيةُ والأشعارُ
على حبلِ غسيلٍ في شرفةٍ بلا عمد .

●●

قالت لي:
يمكن أيضا اقتراح فسحةً للرقص والصلاة والصمت
وقفل الهواتف والنوافذ لصناعةِ ليلٍ آمن،
يمكن ترويضُ حرف الباءِ خارجَ بابِ الخوف بقامةِ نون
بغض النظر عن فرقعات الرصاص في ليلِ العاصمة،
ستظلّ أويا عظيمة بأمومتها:
ثلاثُ مدنٍ في كلمة،
ورحيمة أكثر،
لا تلتفتُ للغو المهذارين؛ فتمحو جهةَ الريح،
وتحتفظ بخمسِ إشارات صبورةٍ
لمجد الأبواب .

● باب بن غشير. 15 نوفمبر 2012

أنا أويا

- ١ -

لماذا تحشد كل ذخيرتك صوب قلبي
أيها المسدس الثرثار
وأنتَ لستَ جديرًا حتى بدخانك .

- ٢ -

أنا أويا،
رئةُ صحراء، شمال البحر .
وأنا أويات، حاضنةُ الغرباء؛
مراتعُ ملحٍ جنوب حجر الآمازون .
مأوى جنانٍ وأسواق،
وقِبلةُ تجارٍ ولغاتٍ سمراء وبيضاء.
لي سبعة أبواب،
كل باب، سمكة تشير إلى صيادين،

ويد مبسوطة تسمّى (الخميسة)،
تبطل تدابير السحر،
وقرن غزال يهمس :
الجمالُ أنْ تُتْسَى
لِتبْقَى مَلكاً في المنفى.
فلماذا أيها الأحمق
تهدر ملح بارودك
وصوتي أكثر من إيقاع للماء.
غيومٌ وعيونٌ وأوديةٌ تجري،
أبراجٌ بستة مآذن تتقاسمها مجازاتُ كروم وحصون
ومنارات شتى.
فلماذا أيها الأحمق
تحشد كل ذخيرتك ؟

- 3 -

من وقفَ على جمالِ الحورية حَارَ في وصف مفاتنها.
قال: حملتها زعانفُها الذهبيةُ،

من قصرٍ بحريّ إلى بساتين المنشية.

وصل الخبرُ إلى أمير «غاديا»؛ فغادره النوم،

ولم يقو المسكين على لجم عواطفه

فارتدى أبهى ما يجود به حرير مطرّز،

وتمنطق خنجرا رُصّع بالياقوت،

وبرع في نسب الألوان وروح العطر.

وحتى لا يغدو العشق نشازا؛ تزود بقصائد غزل لم تترك للحسن مفرًا الاّ ورازته بأعجاز لا ينضب.-لكن الحسناء –

قالوا: توارت بين أنفاس البحر وزهر الليمون؛

حين نثر العاشق بهاء قصيدته

ولم تحفل

ببلاغة زلزال الكلمات العصماء.

• طرابلس 11 ديسمبر 2012

أسماءٌ كثيرة للخوف

1

أيقظه شجارٌ بين ريحٍ ونافذة
كهلٌ وحيدٌ في الليل،
يتوجّس من كآبة الشرفات والأشجار الميتة.
فيما القمر ينشر فضته المسروقة فوق جسر شارع السَّيِّدِي .
يؤلمه أنه لم يعد يقوى على المشي لمسافات أبعد
من فرن الحيّ .
لهذا أضحت مشاوير رمي القمامة نزهة مرتقبة،
تتيح رؤية الخارج بحذر شديد ..
خشية العربات العمياء والرصاص الطائش .
فمَا مِن أحد هنا ينتظره
في مقهى أو حديقة
حيث يتعذر الإصغاء الآمن
لموسيقى نظيفة .

2

في حي باب بن غشير،

تمامًا خلف سينما الجمهورية بأمتار قليلة،

ثمة ثلاثة مطاعم للفلافل والبيتزا والبيض المقلي

تضج بالمسلّحين .

ثمة أيضا محل سجائر، وصيدلية، ونفايات تنمو بزهو .

ثمة عظام خرسانية تصعد بسبعة طوابق

لعمارة مارقة تُبنى على عجل .

لهذا لم تعد الشمسُ تغسلُ كل صباح غرفتَه الكسولة .

فقط تتكالب فرقعاتُ القواذف وروائحُ الأطعمة وصراخُ الجارات ولغطُ عمال البناء، وعواءُ سيارات الإسعاف والمطافئ،

لصناعةِ قدر كبير من الضوضاء الغبية.

3

هنا،

إذا وقفت بمحاذاة سورٍ من طوبٍ أسمنتي،يغتصبُ

عنوة الأرضَ التي كانت قبل التحرير مشروعَ حديقة

تماما حيث تُولِي ظهرَك للافتة تحمل عبارة

«سقيفة الغرباء»،

كإشهارٍ لمكتبةٍ حديثة العهد

تبيع الكتب الإسلامية،

وأقراصا مدمجة لخطب شيوخ الحركة الوهابية،

يملكها فتى طويل،

كلما عبر الشارع؛

بدا منحنيا داخل جلبابه؛ كأنه يتبع لحيته الكثة.

هنا يقيم كهلٌ عليل،

أعني الشاعر لا الجندي.

تماما بالطابق الأول في بناية قديمة،

تماما في الزاوية الضيقة من جدران اللغة المنبوذة،

تماما إذا أحسنتَ الإصغاء، ستكتشف كيف ينتزع المحاربُ

القديم، قشور القوافي من جلد قصيدته،

وينظفُ حنجرةَ الكلمات،

لكأنها سبطانة كلاشنكوف اختنقت برمل الصحراء.

4

هذا الكهل :

قبل أن يكون جنديًا؛

عمل خادمًا جوالاً لخيال الظل

عندما كانت بنغازي ترقص مثل أميرة

في خرافات شهرزاد،

وأيضا غاسل صحون في مطعم فاصوليا،

وصبيا لدى خياط (درناوي).

من سنة 1971 إلى 1989 أمضى 18 سنة في الجيش الليبي،

من لواء الشهيد عمر المختار إلى اللواء التاسع المدرع،

مرورا بكتائب وجحافل وحروب خاسرة.

كان بين الحين والآخر يكتب رسائل لحبيبات

بلا عناوين ..

رسائل ساذجة لم تغادر سريرها.

لذا يمكن الإصغاء بحذر صبور

لئلا يرتبك مزاجُ الحارسِ السكران فيصيب مدرسة بقذيفة عشواء

أو يحرق حقلا من الغيوم.

5

وهنا، إذا شئت:

يمكنك الاكتفاء بِطَرقات خفيفة على الباب،

لحظة أن تكون الخادمة في البيت.

في الحقيقية مَا مِن خادمةٍ بعدُ.

كانت فقط محض أمنية متخيّلة تعتري الكهلَ

كلّما فكّرَ في التعويض المالي المنتظر من منظمة

قدامى المحاربين .

حين كان محض خادم مطيع للقصيدة.

أجل « خادم مطيع للقصيدة»

قال لنفسه: لطالما كررتُ هذه العبارة مرات عديدة

حتى لا تذبل ..

همستُها بسخرية في سجن الثكنة فوق

حفرة الغائط العفنة،

كما ضمنتها روايتي المقطّعة،(جندي المشاة الخجول)،

وقلتها بحماقة لوالدي ذات مساء عندما كان يُعنّفني.

حدث ذلك عندما كنتُ فتياً ..

أمّا الآن ، فأنني حين أترنّح ، أو أجثو من فرط الألم
ما من أحدٍ من أشقائي سيهرع لنجدتي
صاروا أبعد من أن يصغوا لترهات كهل يحتضر .
أصدقائي أيضا،
فروا بجلودهم وتركوني أتململ في ذاكرتي،
غادروا الوطن في هجرات طارئة .

6

هنا، ليس الريح وحسب؛
من يستنفر غضبَه لتحطيم النوافذ
ثمة أيضا كائنات يتعذر رؤيتها بغير الحدسِ
تنامُ مع الموتى.
لهذا يصعب انتزاعها من الجدران، وحرق صورها.
أسماءٌ كثيرة للخوف.

شيخوخة

كلّما عبرتُ صالة البيت

ونظرت إلى المرايا

قفزت شيخوختي

كخطأ لم أرتكبه

وازدادت ثيابي شحوبا،

وبدت أغصاني كما لو أنها تذبل

حيث لا نهاية لوجهي.

عيناي تائهتان بعيدا

خلف عدستين متسختين.

لا أرى سوى ظل أحمق،

مشوش ونحيف يدخن بشراهة.

كما لو أن ثمة طفل يعبث بلحيتي

حيث لم يعد الركض متاحا،

كان عليّ أن أستسلم للخوف

فأحيانًا:

أنا جندي مهزوم

في صحراء تحترق.

وأحيانًا:

أنا حطاب متعب،

فأسي لا تطاوعني على قطع الذكريات

تلك الهرمة،

التي تترك أثرًا

كغيمة تتبول في صحراء .

أحمل خسائري إلى السرير

اقلب بارتياب،

أكداسًا من الكلمات الوعرة،

اقتلعها من مستقبل هشّ،

وابني جداول ناعمة ..

لعل مشردا يجد فيها ظلاً،

لعله يلتقي بأمّ أو حبيبة.

افعل ذلك كل وقت ،

حتى وأنا أمشي من البيت إلى الفرن .

هكذا لاشيء ،

فقط أعبر الطريق خالياً من العناوين ،

كما لو أن أصدقائي انقرضوا فجأة .

وأنا كمن يتوق لأن يتوقف هذا العالم

عن الدوران.

قبل أن تصفعني شتيمة بذيئة من سائق

تاكسي مسرع.

لا شيء،

الفرن مقفل.

والكهرباء مقطوعة في طرابلس.

والمياه لاتصل.

وأنا مكفهر،

غالبا، أنا مكفهر وعصبي.

ثيابي شاحبة،

ومزاجي سيء.

®

لا أريد تاريخا ينبح على العابرين

خذوا أمجاد حروبكم ، واتركوا لي قصيدتي،

لا أريد تاريخا ينبح على العابرين.

خذوا قصوركم وأسواركم وحراسكم وأعطوني أغنيتي،

أنا عطشان، وحبيبتي تنتظر.

أريد اسمي بسيطًا ومهذبًا بخمسة حروف صقلتها

أقفال التجارب؛

فألمي يتفاقم، وأطفالي يكبرون بلا وطن.

خذوا جيوشكم

وأعطوني وردتي، فحبيبتي تقف عند المنعطف.

خذوا غباركم ..

أريد سماء قصيدتي صافية بلا دساتير ومعتقلات.

خذوا كنوزكم،

وردّوا لي ذاكرتي الأولى عن الفقر

والأكواخ والمطر والأعياد.

خذوا جدرانكم

أريد الريح والعصافير والخيول والصدى.

خذوا النفط والذهب والطحين ..

تكفيني بضع كلمات

لكي أحلق أبعد من مدى.

خذوا التعاليم واللوائح والأعلام والأناشيد

أريد لغتي فسيحة بلا حواجز وأسلاك شائكة وخرائط وحدود .

خذوا شيوخكم بعيدا عن صلاتي

أريد الله كما عرفته؛

وأنا أبكي على قبر أبي.

واتركوا لي شأن ذئابي أعرف كيف أربِّيها.

اتركوا لي صراخي وفوضاي،

اتركوا لي قماشة خيالي أتدثر بها .

– خذوا أحذيتكم الثقيلة،

بعيدا عن طاولتي

وأعطوني فنجان قهوتي وردّوا لي هدوئي .

أعطوني غيمة،

لعلّي أرسم ربيعا جديدًا .

● كاتنزارو 10 مارس 2008

مُحْتَوَيَاتُ الكِتَابِ

النص	الصفحة

■ موجز في السيرة الذاتية:

- الاسم : مفتاح أحمد عبد السلام العمّاري
- اسم الشهرة : مفتاح العمّاري
- ولد في بنغازي 16 يوليو 1956 .
- تحصل على الشهادة الابتدائية (بنغازي 1969).
- التحق بالجيش كجندي مشاة 1971 ليعول أسرته بعد وفاة الأب في وقت مبكر .
- في سنة 1973 بدأت رحلته مع المكتبة ، كقارئ شغوف بالأدب تحديدا .
- في منتصف سبعينيات القرن العشرين خاض مغامرة الكتابة الإبداعية كمحاولة لإعادة إنتاج قراءاته وتجربته في الحياة .
- معظم نتاجه يعد كمغامرة لتدوير سيرته كجندي مشاة وتجربته في حرب تشاد ، من منظور ذاتي .
- كتب في الشعر والسرد والمسرح والمقاربة النقدية وأدب الطفل، والدراما التلفزيونية وأعد خمس برامج ثقافية للراديو بثت في الإذاعات المحلية.

● نشر وكتب في الصحافة الوطنية والعربية، وبعض المواقع الالكترونية ، كما تولى الإشراف على الصفحات الثقافية في أكثر من مطبوعة ليبية.

● عمل كمستشار لعدد من المؤسسات الثقافية الليبية في مجالات النشر والإبداع الأدبي .

● شارك في الكثير من النشاطات الثقافية داخل ليبيا عبر أمسيات الشعر ومهرجانات الفنون والآداب، كذلك كانت له العديد من المشاركات خارج ليبيا في مهرجانات أدبية وفنية ، من بينها : المربد / بغداد 1987: 1998. الدورة 11 لمهرجان دمشق المسرحي : 1988 . شعراء المتوسط / لوديف، فرنسا 2001 / ربيع الشعراء / معهد العالم العربي ، باريس 2003 .

● صدر له أكثر من عشرين مؤلفا توزعت عناوينها بين الشعر والسرد والمقالة .

● تحصّل على جائزة تشجيعية في الشعر 2010 .
وجائزة مجلة (أركنو) للإبداع 2012 .

● يمكن ملامسة مفاتيح تجربته ورؤيته للكتابة ، فضلا عن جزئيات من سيرته ،عبر آخر حوار أجرته معه مجلة نصوص خارج اللغة التي تصدر عن مؤسسة

أطياف ، والتي اقترحته كشخصية ثقافية لعددها الثالث الصادر في شهر سبتمبر 2017 .

- ترجمت بعض نصوصه إلى اللغات البلغارية والفرنسية والانجليزية، كان آخرها في مجلة « الحياة والأساطير» الأمريكية ضمن عددها الصادر في شهر مارس 2017 .

- له مدونة شخصية على البلوجر تحت وسم (وسادة الراعي) تعنى بنشر كتاباته ،إضافة إلى صفحته الشخصية على التويتر (twitter) .

- يعكف الآن على غربلة وتشذيب نسخة نهائية من إحدى مخطوطاته في الرواية .

■ صدر للكاتب:

1 - قيامة الرمل - شعر - طرابلس /ليبيا - 1992 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

2 - كتاب المقامات - شعر - ليماسول / قبرص - 1993 - دار الملتقى .

3 - رجل بأسره يمشي وحيدا - شعر - بيروت / لبنان - 1993 - دار غربة .

4 - فعل القراءة والتأويل - نقد أدبي - طرابلس/ ليبيا - 1996 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

5 - منازل الريح والشوارد والأوتاد - شعر - ليبيا - 1996 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

6 - السور - تأليف مشترك بمعية الكاتب مجاهد البوسيفي - مسرحية - ليبيا - 1996 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان .

7 - ديك الجن الطرابلسي - شعر - طرابلس /ليبيا - 2000 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

8 - رحلة الشنفرى - شعر - ليبيا - 2000 - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان .

9 - جنازة باذخة - شعر - طرابلس ليبيا - 2003 - منشورات مجلة المؤتمر .

10 - مشية الآسر - شعر - بنغازي /ليبيا - 2004 - مجلس تنمية الإبداع.

11 - عتبة لنثر العالم - في النقد الأدبي - طرابلس ليبيا - 2006 - سلسلة مجلة فضاءات .

12 - مفاتيح الكنز - سرد - طرابلس ليبيا - 2007/2006 - اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام .

13 - السلطانة - شعر - طرابلس ليبيا - 2007/2006 - اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام.

14 - نثر الغائب - سيرة شعرية - طرابلس ليبيا - 2007/2006 - اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام .

15 - برج العقرب - مسرحية - طرابلس ليبيا - 2006 /2007 - اللجنة لشعبية العامة للثقافة والإعلام.

16 - نثر المستيقظ - نصوص - ليبيا - 2008 - مجلس الثقافة العام .

17 - فسيفسائي - شعر - ليبيا - 2008 - اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام.

18 - فن العزلة ، نهاية العالم - مقالات في الأدب والحياة - طرابلس ليبيا - 2008 - اللجنة الشعبية العامة لثقافة والإعلام .

91 - حياة الظل. نصوص. 2013 . وزارة الثقافة والمجتمع المدني .

20 - مدونة النثر الليبي . شعر . 2013 .وزارة الثقافة والمجتمع المدني .

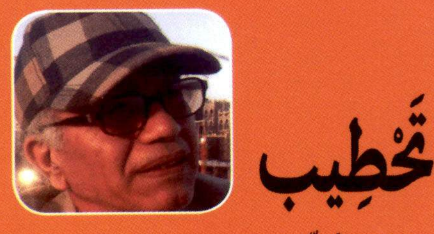
21 - ثكنات . شعر . نشر الكتروني . 2015 . موقع بلد الطيوب.

■ **له تحت الطبع :**

- تقطير العزلة / محاولة لتدوير خانة الصفر.

■ **مخطوطات :**

- رأس الطين . رواية.
- الكامبو . رواية .
- تجارب ضالة . قراءات ومقاربات نقدية.
- جنديّ المشاة الخجول. سيرة.



تحطيب

سُكّان الريح شعر

مفتاح العمّاري

الأشجار التي تحجّر عطرها،

كيف نسميها حديقة ؟

كان عليّ جمع الحطب

لا انتظار الريح .

سُكّان الريح

خذوا أمجاد حروبكم ، واتركوا لي قصيدتي،

لا أريد تاريخا ينبح على العابرين.

خذوا قصوركم وأسواركم وحراسكم وأعطوني أغنيتي،

أنا عطشان، وحبيبتي تنتظر.

أريد اسمي بسيطًا ومهذبًا بخمسة حروف صقلتها

أقفال التجارب؛

فألمي يتفاقم، وأطفالي يكبرون بلا وطن.

خذوا جيوشكم

وأعطوني وردتي، فحبيبتي تقف عند المنعطف.

